العدوان لم يعد ثلاثيا.. بل اصبح جماعيا!

امين يسري*

■ الدول المتحضرة هي الدول التي تحتفظ بذاكرة قوية. هي الدول التي تحفظ عن ظهر قلب وقائع تاريخها وتختزنها في ذاكرتها لتستفيد منها في علاقاتها الدولية. فبريطانيا مثلا لم ولن تنسى دور الزعيم جمال عبد الناصر ومساهماته في تصفية الوجود البريطاني في الخليج وافريقيا. وهي لذلك عندما دعت للمرة الاولى ـ وربما الاخيرة ـ الرئيس محمد حسني لزيارتها زيارة رسمية فانها اصرت على ان تتم الزيارة يوم 23 تموز (يوليو)، رغم ان هذا اليوم يوافق عيد مصر القومي. وجرت القاعدة على ان يبقى رئيس الدولة في بلده في هذا اليوم تحديدا حتى يحتفل مع شعبه بالعيد القومي. لكن بريطانيا اصرت ان تتم الزيارة في هذا اليوم لانها لم تنس ان بينها وبين ثورة يوليو ثأر. واسرائيل ايضا اصرت على ان تكون زيارة ايهود اولمرت رئيس وزرائها لشرم الشيخ للقاء الرئيس محمد حسني لاول مرة تحديدا ايام 4 و5 حزيران (يونيو) 2006 لتؤكد مجددا الهزيمة التي الحقتها بمصر في ذات التاريخ عام 1967، وفي الحالتين قبلنا ما اصرت عليه بريطانيا وما اصرت عليه اسرائيل.

وكان مبرر «العقلاء» ان ما فات قد مات!! مع ان اليهودي لم ينس انه قبل 2006 اعوام ـ اي قبل ميلاد السيد المسيح عليه السلام ـ كان لليهود مملكة على ارض فلسطين انقسمت الى مملكتين (يهودا والسامرة) وكان عمر بقائهما قصير لم يزد على سبعين عاما. وان هاتين المملكتين قد تحاربتا فيما بينهما حتى ضعفتا ضعفا اغرى نبوخذ نصر بمهاجمتهما والانتصار عليهما واخذ سكانهما سبايا الى العراق. وظل هذا مختزنا في الذاكرة اليهودية واتخذ اساسا لاقامة الدولة اليهودية بعد 1948 سنة وعلى ذات الارض مع طموح ان تتوسع من النيل الى الفرات.

وعندما غزت امريكا العراق لحساب اسرائيل فان فرقا اسرائيلية سارعت الى بابل لتحطيم ونهب الاثار التي خلفها نبوخذ نصر انتقاما منه بعد 2003 سنة من انتصاره على مملكتي يهودا والسامرة!!

بل ما زالت اسرائيل تسمي الضفة الغربية ومنطقة القدس بالاسم القديم.. يهودا والسامرة! حتى يومنا هذا!

يدعوني الى هذه المقدمة الترتيبات الخجولة والمحدودة بذكرى مرور خمسين عاما على تأميم الزعيم جمال عبد الناصر لقناة السويس. اذ لم يتذكر غالبية المصريين هذا الحدث التاريخي الذي تعدى عودة القناة لمصر وكان له اثره الذي امتد بعيدا ليشمل دول العالم الثالث على امتداد الكرة الارضية طولا وعرضا.. ولولا ان الحزب الناصري وجد نفسه معنيا بهذه المناسبة لربما مرت مرور الكرام.

لقد شمل السهو والنسيان ليس فقط العامة من الناس بل طال حتى من يحسبون على مجموعة النخبة والمثقفين الى حد ان اثنين منهما اقترحا عندما استشارهما الحزب في من يلزم دعوتهم للمشاركة في الاحتفالات بتأميم القناة اقترحا دعوة جمعية فرنسية مقرها باريس تأسست عقب قرار التأميم لمناهضته، وهدفها منذ ان تأسست وحتى الان هو تذكير الفرنسيين «بحقوقهم» في القناة المؤممة شركتها العالمية والتي كان مقرها الرئيسي في باريس وابقاء مشاعر الحقد على عبد الناصر حيا متجددا!!

والدولة طبعا مسؤولة عن محو الذاكرة الجماعية للاحداث التاريخية فكتب التربية الوطنية التي تدرس في المدارس تخلو من ذكر هذه الاحداث، بل ان الرئيس الراحل السادات اعتبر ان ما ترسب في وعي المصريين واقنعوا به جموع الشعب العربي من ان اسرائيل قد اعتدت واغتصبت ارض فلسطين مجرد حاجز نفسي!! اي مجرد حالة مرضية نفسية وعقلية يجب التخلص منها!! قارنوا ذلك بذكرى «المحرقة» والمتحف الذي اقامته اسرائيل احياء لها ـ ومثله مقام في واشنطن ـ والزامهم اي زائر لاسرائيل زيارة رسمية زيارة هذا المتحف. بل انهم استصدروا من الامم المتحدة قرارا بان انكار حدوث المحرقة انما يعد معاداة للسامية وجريمة ضد الانسانية!! في حين اننا نسينا طبعا محرقة قانا في لبنان واحراق قرى بكاملها في فلسطين عام 1948.

واسرائيل تعتدي هذه الايام على لبنان ـ كل لبنان ـ من اجل جنديين اسرتهما المقاومة اللبنانية. بينما نسينا بل انسانا حكامنا الاشاوس ان في سجون اسرائيل عشرة الاف اسير فلسطيني منهم 74 طفلا لم يتجاوز عمرهم الثامنة عشرة ومئات الفتيات والسيدات اللاتي ولد بعضهن اطفالهن داخل المعتقل وبقوا مع امهاتهم اسرى حتى يومنا هذا!! وان في السجون الاسرائيلية كذلك الف اسير لبناني وعربي مضى على سجن بعضهم ربع قرن من الزمان!!

الجديد في العدوان على العراق وعلى سورية وعلى لبنان ان العدوان كان دائما يقع من اسرائيل بمشاركة دولة او دولتين اوروبيتين. وكانت المؤامرة والاتفاق على العدوان يتمان سرا وفي الخفاء.. كما حدث في العدوان الثلاثي الاسرائيلي ـ البريطاني ـ الفرنسي.

ووقعت الاطراف الثلاثة على بروتوكول سيفر السري الذي حدد الادوار لكل طرف. فتهاجم اسرائيل سيناء ثم يصدر انذار بريطاني ـ فرنسي لكل من مصر واسرائيل يطالبهما بالابتعاد عشرة اميال عن قناة السويس على ان تسمح مصر لبريطانيا وفرنسا باحتلال بورسعيد والاسماعيلية والسويس بحجة الفصل بين الفريقين المتحاربين والمحافظة على القناة.

الان يتم الاتفاق على العدوان علنا وليس في السر. والعدوان يتم جهارا نهارا لحساب اسرائيل التي باتت رئيسة جمعية المنتفعين باذلال العرب. والعدوان اصبح مشتركا بين كل الدول الغربية بقيادة الولايات المتحدة الامريكية. فالاسم الرسمي للقوات التي تحتل العراق هو قوات التحالف!! بل استطاعوا ضم دول غير غربية وان كانت تدور في فلكها، فاليابان مثلا تشارك في قوات التحالف وكذلك استراليا رغم انها دول اسيوية. والجدير ايضا ان العدوان يتم بمشاركة دول عربية اما بتقديم اراضيها لتكون قاعدة لانطلاق العدوان ـ كما حدث في العدوان على العراق ـ واما بتقديم التغطية السياسية ـ كما حدث في الحالة اللبنانية ـ بادانة المقاومة بزعم قيامها باعمال لا تراعي الصالح العام العربي!! بمثل ما جاء في البيان السعودي والمصري ـ الاردني.

الجديد ايضا ان ترتيبات العدوان لم تعد تجري سرا بل علنا بل وحتى على شاشة التلفزيون!! بمثل ما حدث قبل ايام وتحديدا يوم 17 الجاري، وسجلته كاميرا الجزيرة بالصوت والصورة اثناء تغطية اجتماعات قمة الثمانية الكبار في سان بطرسبرغ. فقد كان الرئيس الامريكي جالسا يتناول الطعام، ولم يتنبه الى ان الميكروفون مفتوح اثناء حديثه مع بلير رئيس وزراء بريطانيا. فقد قال حرفيا «علينا ان نوقف سورية وحزب الله عن نشر هذه القذارة.. وستنتهي الأزمة».

واضاف «ما يجب ان يفعلوه هو ان يجعلوا سورية توقف حزب الله عن فعل هذا القرف»!! وابدى اعتراضه على تركيز كوفي عنان الامين العام للامم المتحدة على وقف اطلاق النار بين حزب الله واسرائيل قبل اي شيء آخر. وقال لا يعجبني هذا التسلسل.. وبدوره رد بلير قائلا: صحيح هذا هو ما يهم حقا.. وسيتطلب الامر بعض الوقت!! موضحا ان رايس يجب ان تنجح اذا ذهبت للمنطقة!!

وليطمئن السيد بلير ان الانسة كوندي سوف تنجح في مهمتها حتى قبل ان تذهب الى المنطقة. فقد سبقناها بتسفير وفد مصري رفيع المستوى الى واشنطن لتجديد وتدعيم العلاقة الخاصة والاستراتيجية مع الولايات المتحدة.

الم اكن على صواب عندما دعوت في مقال اخير الاحزاب المصرية الا تقصر مطالبها على الاصلاح السياسي واستجداء الديمقراطية وان تجعل من اولويات مطالبها الاستقلال عن امريكا واسرائيل؟ سؤال اتركه بلا جواب!!

* كاتب من مصر

تآكل الدور المصري

د. عمار علي حسن*

■ أتحدث هنا عن مصر الرسمية، التي راح دورها الإقليمي يتراجع ويتآكل حتى بات يقف على حافة الخمود والخمول، جراء الافتقار إلى «المغامرات المحسوبة والمسؤولة» والافتقاد إلى «الخيال السياسي» والقصور في إدراك عظمتها ورسوخ أقدام شعبها، وصم الآذان عن أصوات المعولين عليها من العرب، من بين أولئك الذين يعيشون على أطلال ماضيها القريب، حين كانت كلمة واحدة من قيادتها تهز الناس من المحيط إلى الخليج، وكانت نخبتها، في كل المجالات، تفكر للعرب، فتنير لهم الظلمة، وتعبد أمامهم الطرق الوعرة، وتمنحهم الأمل في غد أفضل.

لقد انكفأت مصر على ذاتها ورأت في «القطرية الضيقة» طريقا للهروب من التزاماتها حيال كل من يطلبون منها المساعدة، بالفعل لا القول، وبالمشاركة والحسم لا بالوساطات الفاشلة، وراح المجال الحيوي لمصر يضيق حتى كاد أن يخنقها.

فدورنا في القضية الفلسطينية انخفض إلى الحد الذي لم يعد يفيد كثيرا، وهانحن كغيرنا من بعض العرب نعطي ضمنا «ضوء أخضر» لإسرائيل كي تجهز على المقاومة في لبنان، حتى في ظل الحرص على سلامة اللبنانيين والخوف من تدمير بلدهم العزيز على نفوسنا وقلوبنا. وهاهي التسويات تتوالى في قضايا السودان الساخنة الخطرة، بعيدا عن أعيننا. ولم ينظر إلينا الصوماليون وهم يسعون إلى إعادة ترتيب الأوراق في بلادهم، ويفاجئنا العقيد القذافي بأنه يمتلك مشروعا لتصنيع أسلحة دمار شامل، بعد أن أكد الرئيس مبارك مرارا أن ليبيا خالية نظيفة من أي سلاح غير تقليدي، ثم يبرم صفقة غير مسبوقة ولا متوقعة مع الغرب، من دون أن يكون لنا فيما أقدم عليه رأي، ولا مشورة.

وهاهي المرة الأولى في تاريخ مصر المعاصر التي تجد البلاد نفسها تابعة لدول إقليمية صغيرة، بعد أن كانت بإشارة منها تعزز أنظمة حاكمة وتزعزع أخرى، وبعد أن كانت تشكل رقما كبيرا في حسابات القوى العالمية العظمي، حين كانت القاهرة، قائدة دول عدم الانحياز، تناور في مواجهة واشنطن وموسكو، عاصمتا العالم إبان الحرب الباردة، وحين تمكنت القاهرة باقتدار، لا مثيل له في التاريخ الحديث، من أن تشن حربا في الظهيرة، لتستعيد أرضها السليبة من براثن إسرائيل المغتصبة.

إن دورنا الإقليمي ليس ترفا، ولا منة أو منحة نقدمها لأحد، بل هو دفاع عن أمننا القومي، كما فهمه أجدادنا، ومن حكمونا طيلة التاريخ، فمصر دوما كانت تحشد جيوشها وتدفعها إلى بلاد الشام لصد الأعداء المغيرين علينا، لتجعل حدودنا آمنة، وكانت تسيّر رجالها، جندا وملاحين، إلى أعالي النيل، لتدافع عن شريان حياة كل المصريين، ثم تنظر غربا وجنوبا ما وسعها بحثا عن مصالحها، وصيانة لأمنها، وأداء لرسالتها الحضارية.

يا ليت من قالوا لنا إن السلام ضرورة لتنمية بلادنا قد نفذوا وعودهم. ويا ليت من قالوا لنا إن محاربة العدو لا تكون بالسلاح والنار فقط قد امتلكوا الأسلحة الأخرى التي جعلونا نصبر كل هذا الزمن في سبيل حيازتها، فما زادنا الصبر إلا فقرا وعوزا، وفسادا واستبدادا، وكاد بلدنا العريق العظيم أن يتحول إلى كيان اجتماعي عشوائي ضخم، يدور ويلف حول قلة تحتكر المال والنفوذ، مصالحها مع آخرين هناك خارج الحدود، ووراء البحار.

إننا لا نطالب أيضا بـ«العنتريات التي ما قتلت ذبابة» ولا «بالتهور الذي يأتي على الأخضر واليابس» ولكننا نطالب بحسن إدارة وتوظيف كل ما نملكه من أوراق، من أي نوع وفي أي اتجاه، في سبيل أن تبقى القاهرة قبلة لكل من يبحث عن حلول لمشكلات يمر بها الشرق الأوسط، وليست فقط مكان يقوم فيه مبنى جامعة الدول العربية المسكين، أو قاعة مؤتمرات كبرى تعقد فيها اللقاءات، كأي قاعة في فندق بارد.

نطالب بامتلاك الركائز الأخرى للقوة، من اقتصاد مزدهر، ومجتمع متماسك، وإنتاج ثقافي، رفيع وإدارة منظمة طموحة، ونخب تعرف من هي مصر وما هو قدرها ودورها.

وهذه المطالبة ليست حلما بعيد المنال، في بلد يمتلك كل شيء، البشر والحجر والتاريخ، ولديه قدرة على أن يبدل، بسرعة خاطفة وهمة عالية، انكساراته إلى انتصارات، وأتراحه إلى أفراح، وإن شاء أحد أن يستوثق من هذا فليدرس جيدا الظروف التي كانت تمر بها مصر قبل قدوم أحمس، وصلاح الدين، وقطز، ومحمد علي، وعبد الناصر.

* مدير مركز أبحاث ودراسات الشرق الأوسط ـ القاهرة

عن تجميل الحرب وهشاشة الشاشة

هشام نفاع*

■ انها الحرب. لا يشم الجالس امام التلفزيون روائحها المرعبة. يقُال ان الصورة افضل من الف كلمة، لكن الرائحة اقسى من آلاف الكلمات والصور التي تحول مشاهد الحرب الى مادة شبه سينمائية عالية الاخراج والانتاج. اذكر رائحة البارود المختلط بالغبار الخانق، وعنف الموت الذي لف جثة محروقة كان اهل مخيم جنين ينتشلونها من بين الركام. وروائح شوارع اكتوبر 2000 اقوى من الصور.

تتفاعل الحرب على الشاشة وكثيرا ما تتجاوز معانيها العقل والقلب. التقنيات العالية المستثمرة لاحضار الصورة بمعايير فنية رفيعة، قد تطمس مضمونها وتحول المشهد المرعب الى صورة تثير الانبهار. مفعولها سحري: تلسعك للحظة قصيرة كتيار الكهرباء ثم تتبدد في الهواء. هنا، سيكون الابتعاد عن التقريرية والمباشَرَة سببا في طمس الحقيقة – او اقرب ما يكون اليها. التوثيق التسجيلي صار اكثر التقنيات صعوبة.

حين كتب جان جينيه تقريره عن الـ «اربعة ايام في شاتيلا» كان مباشرا حد الرعب. وصف كافة البشاعات التي اقتُرفت وظلت آثارها على العيون المنطفئة والبطون المبقورة، فعلقت المغازي عميقا في قرائه. وظل نصه معلْما في سيرة مناهضة القهر. بعده بحوالي عشرين سنة جلس زميله في المواطنة الفرنسية ليوتار امام الشاشة، تابع غزو العراق الاول، وصرح: ان الحرب لم تقع. راى ان ما نراه هو حقيقة الصورة لا الحدث.

بين الانفعال الانساني لدى جينيه وبين التأمل المتنصل لدى ليوتار يكمن الفرق بين تدوين البشاعة والتحذير منها وبين قرض شبه الشعر فيها وانكارها. مسافة شاسعة بين الكفر بالحرب وبين التكتم عليها والتواطؤ الخفي معها.

... وتتناسخ الفضائيات والمحطات وتتعدد سبل التسلية. فالعقل البشري الرائع يضع امامي كل السبل كي ارى الحرب بوضوح، وبالالوان. افضل الصور، اقربها واكثرها اثارة. يا لروعة الدقة ويا لعظمة هذه التقنيات. يا لفنية القتل!

في هذه اللحظة بالذات تكره مساحة واسعة من العقل البشري. تُصاب بالغثيان من هذه القدرة على تفليم اكثر ما يمكن من قذارات الحرب. المراسلون الرسميون تقريريون جدا، يتحدثون ببرود قطبي ويتركون الانطباع بان المعادلة المؤلفة من اجساد مدنيين في غزة ومن اطنان الدبابات الفولاذية، هي تصوير لمعركة متكافئة.

هذه المرة: قبيحة هي المعرفة التي تتيح للدم ان يُسفك وان يصل باردا على الشاشة في الصالون.

***

سمعت مرة من فتاة يهودية اسرائيلية جملة تقول كالتالي: انا اشاهد الاخبار فقط كي افهم ما يجري في «ايريتس نهديرت».

والكلمة الاعجمية اعلاه تعني برنامجا ساخرا في قناة تلفزيونية اسرائيلية، موضوعه «صناعة السخرية من الاحداث الاخبارية».

الفتاة قالت ما قالته بشكل عادي. البعض كان سيقول: بشديد من النغاشة ايضا.

مع ذلك، هذه مصيبة. ففي العادة كانت غالبية غير صغيرة من الشباب الاسرائيلي تعزف عن معرفة ما يجري حولها. لكنها اليوم تعزف على وتر جديد.

صحيح ان الاعلام التجاري (التسويقي الذي تحتل اولوياته الاعلانات) هو اعلام يتحول الى وسيلة للترفيه بالاساس، بالضبط كما حذرتنا مدرسة فرانكفورت الماركسية اواسط القرن الماضي. ولكن المسألة هنا مركبة. فالحديث يدور عن برنامج معقول نسبيا. يشمل غالبا انتقادات ساخرة حادة. ولكن حتى هذا «لا يقطع فيهم» كما يبدو. فالمُشاهد يظل بحاجة للاصل – للخبر.

لكن هذا الاصل لا يرسم سوى صورة قاتمة: حرب وفقر وعنف ويأس واحباط، وكله من انتاج «المصنع الوطني» بادارة حكام اسرائيل م. ض.

من هذه الحالة تهرب شرائح شبابية الى العديد من وسائل صنع النسيان. من المخدرات الفعلية وحتى الرمزية. ثمن باهظ لاي مجتمع. لكنه يصبح متوقعا جدا في دولة تدمر نفسها بنفسها. فرغم كل جيشها وجنرالاتها ومخابراتها، يُسأل: من الذي ينتصر هنا؟

ليس جيش الدفاع طبعا، (خلافا للمقولة الشهيرة).

من ينتصر هو الاحتلال. وليس على الشعب الفلسطيني. لا. الاحتلال الاسرائيلي ينتصر على اسرائيل.

شبابها لا يطيق سماع اخبارها. والفرصة الوحيدة للوزراء كي تطيقهم هذه الشرائح هي تلك المناسبة التي يظهرون فيها مثيرين للسخرية.

فعن اي مستقبل يتحدثون، اي استراتيجية، اي وعود معسولة، اي «مناعة ديمقراطية» واي بطيخ اصفر؟

المثال بسيط. لكنه يقول الكثير.

***

مونولوج: تتخيلهم سيخرجون يوما من داخل جهاز التلفاز. سيكسرون الشاشة ويقطعون المسلسل في ذروته، والنشرة الاخبارية في اهم انبائها، والمقابلة لحظة اشتعال غرائز استراق النظر والفضول الى نهاية خيوطها.

سيطلون ويعلنون بلهجة احتفالية ان:

انتهى الفيلم! عودوا الى انفسكم، الى غرفكم الخاصة، انتهت الكذبة، عودوا الى ما ينفع الناس.

سيكون يومها من يبتسم لهؤلاء الخارجين من بين الوان الشاشة. ولكن سيكون ايضا من يلفهم الرعب من خلخلة الحكاية. هؤلاء الذين لن يطيقوا «قطاع طرق المسلسلات». للاسف، سيفشل الانقلاب وسيُحاكَم الثوار. وامام المحكمة ستكون التهمة: تخريب الممتلكات العامة وتشويش النظام.

ويتواصل الفيلم..

* كاتب من فلسطين

لا سياسة الا اذا كانت بنت «الآن»!

جواد البشيتي*

■ ما هي «مهمّة الساعة» في الحرب التي تدور رحاها في لبنان بين اسرائيل وحزب الله، وغير المتكافئة (لمصلحة آلة الحرب الاسرائيلية) في قوّتها التدميرية على وجه الخصوص؟ انها انْ ياتي حزب الله بمفاجاة عسكرية كبيرة من المفاجآت التي وعد بها، فالحجم الهائل من الدمار الذي الحقته الطائرات والسفن الحربية الاسرائيلية بالبنية التحتية المدنية للبنان، مع المجزرة الوحشية البشعة التي اقترفتها اسرائيل في حق مدنيين لبنانيين ارغمتهم على النزوح من بلدتهم (مروحين) في جنوب لبنان، يتحدى حزب الله ان يفي بوعده، اي ان ياتي بمفاجاة عسكرية كبيرة تمنع العدوان الاسرائيلي من ان يحول تلك النتائج الميدانية المترتبة عليه الى مَصْدَرَ ضعف للقوة السياسية والشعبية (اللبنانية والفلسطينية والعربية) التي يتمتع بها الحزب، وقائده على وجه الخصوص الشيخ حسن نصر الله، فالقوّة التدميرية الهائلة لهذا العدوان تَسْتَنْفِد سريعا التاثير السياسي والمعنوي الايجابي (على كبَرِه) الذيَ تُخلفه في نفوس اللبنانيين والعرب الاعمال العسكريةَ البطولية والمتقَنة التي يقوم بها الحزب، والتي كان آخرها ضرب البارجة «احاي حانيت».

اذا كان لدى حزب الله من الوسائل والاسلحة الدفاعية، كالصواريخ المضادة للطائرات، ما يمكنه من تقليل حجم الدمار الذي تلحقه الطائرات الحربية الاسرائيلية بالبنية التحتية المدنية فلْيُشرع يستعمله. واذا كان لديه من صواريخ ارض ـ ارض، وغيرها من الاسلحة الهجومية، ما يمكنه من الحاق خسائر بشرية ومادية ومعنوية فادحة باسرائيل فَلْيُشرع يستعمله، فاسرائيل يجب ان تتكبد من تلك الخسائر ما يمنع الحرب من ان تتمخَض عن نتائج سياسية تجيء مصداقا لقولهم انَ العمل العسكري الذي قام به حزب الله، والذي قررَت اسرائيل جعله اشعالا لفتيل الحرب، كان «مغامرة غير محسوبة» العواقب.

لقد اختارت اسرائيل «الثمن الباهظ» اسما للحرب التي شنتها على حزب الله والتي كانت تُعد العدة لها مذ تاكد لها وللولايات المتحدة فشل جهودهما وضغوطهما الدبلوماسية والسياسية لتنفيذ قرار مجلس الامن الرقم 1559 على ايدي لبنانية.

انَ الهدف السياسي ـ الاستراتيجي النهائي لهذه الحرب هو تنفيذ ذاك القرار بما يتّفق مع التفسير الاسرائيلي له، فالتوقّع الذي يراد لنتائج الحرب ان توافقه هو تمكين قوى لبنانية «كامنة» الآن من الظهور لاحقا وفرض مشيئتها السياسية (التي هي جزء من مشيئة الولايات المتحدة واسرائيل) على حزب الله بعد، وبفضل، الحاق هزيمة عسكرية به، وجعل لبنان يدفع ثمنا باهظا من بنيته التحتية واقتصاده ومنشآته الحيوية.

حزب الله نجح، حتى الآن، في ردع اسرائيل عن شن حرب برية تسمح لها بالسيطرة العسكرية على جنوب لبنان بعد تدمير القوّة العسكرية للحزب هناك، فمقاتلو الحزب مع صواريخهم واسلحتهم الاخرى اقاموا لهم مواقع عسكرية وقتالية محصّنة يقع معظمها واهمها في خارج المناطق الآهلة، لعلّهم يدرأون عن المدنيين مخاطر الحرب.

اسرائيل اختبرت قدرتها على خوض الحرب البرية في جنوب لبنان فتاكدَ لها انَ الحرب تلك من الصعوبة بمكان، وانها يمكن ان تكون مَصْدَرَ انتصارات عسكرية مهمة لحزب الله.

انها الآن تسعى في ارغام السكان على النزوح في اتجاه شمال نهر الليطاني حتى تتّخذ التدمير وسيلة للسيطرة العسكرية على مناطق جنوبية، ولتجعل عودة النازحين الى قراهم وبلداتهم ومدنهم مشروطة بخروج مقاتلي الحزب من مواقعهم الحصينة، ومغادرتهم الجنوب الى شمال نهر الليطاني، مع اقتران ذلك بتجريد الحزب من ترسانته الصاروخية، ونشر الجيش اللبناني على طول الحدود مع اسرائيل، اي على طول «الخط الازرق».

الحزب مدعو الآن، او من الآن وصاعدا، الى ان يُوجِه الى اسرائيل ضربات عسكرية نوعية، تسمح نتائجها الميدانية بالتوصّل الى اتفاق جديد لوقف اطلاق النار، يذهب بهدف تنفيذ القرار الرقم 1559، ويؤدي الى تبادل للاسرى يلبي المطالب التي اعلنها حزب الله من قبل، ويذلل العقبات من طريق اخراج اسرائيل من مزارع شبعا.

لا ضرر في ان يتلقى حزب الله مزيدا من الاسلحة (المتطور منها على وجه الخصوص) والذخائر من سورية، او من ايران عبر سورية؛ ولكنَ الضرر يقع اذا ما سمح الحزب لنفسه بان يتحولَ الى ورقة في ايدي لاعبين اقليميين، فحزب الله، اذا كان قادرا، او ظل قادرا، على المضي قدما في قتال تخسر فيه اسرائيل بشريا وماديا ومعنويا، ينبغي له ان يرفض كل مسعى سوري او ايراني لوقف القتال في سبيل ان ينجح ذوو المساعي تلك في عقد صفقات سياسية واستراتيجية رابحة مع الولايات المتحدة.

واذا كان للعرب ولسورية ولايران ان يقفوا من الحرب موقفا صائبا فانَ عليهم ان يقفوا الموقف الذي يسمح لهم باظهار ما لديهم من قوة في ارغام اسرائيل على الوقف الفوري وغير المشروط لعدوانها على لبنان، او في منعها من قطف الثمار السياسية التي تريد لحربها ان تاتي بها.

انَ البنية التحتية في سورية او ايران ليست باكثر قدسية من البنية التحتية في لبنان وقطاع غزة. ويُفْتَرَض انها تحظى بحماية عسكرية اقوى وافضل كثيرا، وكثيرا جدا.

وليس لديَ من شك في انَ جيش الدفاع الاسرائيلي سيُقهَرَ اذا ما انضمت سورية الى القتال مع حزب الله، واذا ما اظهرت قدرة سياسية وعسكرية على ان تقاتل في طريقة حزب الله، فعبارات وشعارات «التضامن» المعهودة ما عادت بـ«الموقف» الذي ينتمي الى العالم الواقعي للسياسة؛ وقد حان للقائلين بها ان يدركوا انها غدت ذخيرة لمزيد من الحرب الاسرائيلية على الفلسطينيين واللبنانيين.

اما وزراء الخارجية العرب الذين اجتمعوا ليَسْتَجْمِعوا مزيدا من اسباب القوّة السياسية لآلة الحرب الاسرائيليةَ في لبنان وقطاع غزة فكان ينبغي لهم ان يتوفَروا على صنع قرار يسمح للدول العربية بـ«اماتة» الحرب الاسرائيلية، فـ«السلام»، الذي اتّخذوه خيارا استراتيجيا لا يُشركون به، مات مذ جعلوه اعزل، وانْ ابوا الاعتراف بموته قبل دفنه.

ما ادهشني ليس اجتماعهم و«قراراتهم»، وانما رؤية موتى يتوعَدون بدفن ميتهم الغالي وهو «السلام» الذي ما عاد عليهم الا بمزيد من الحروب الاسرائيلية.

لقد ادهشني المشهد في القاهرة، فموتى يحملون على اكتافهم نعش السلام؛ ولكن ليس الى القبر، وانما الى مجلس الامن الدولي لعلّه يحيي عظام السلام وهي رميم.. وكلٌ منهم يحمل في يمينه كتاب «مبادرة السلام العربية» لعل اله مجلس الامن يجزيهم خيرا، ويتصدّق عليهم بسلام يستر بعضا من عوراتهم.

مَن انتظر منّا فانّما كان ينتظر انْ يرى «قرارا» له فعل الرصاصة في راس الحرب الاسرائيلية على لبنان وغزة فاذا به يراهم يتلهون عن ذلك بنعي وفاة ليس «السلام»، وانما «عملية السلام» كما عرفناها حتى الآن، فنعي وفاة السلام لا يقدر عليه غير اسرائيل!

واذا كان لي ان اتّهم احدا بالقيام بـ«مغامرة غير محسوبة» العواقب فانني اتّهم وزراء الخارجية العرب الذين «قرَروا» بما ينزل على اسرائيل بردا وسلاما، وينزل علينا جمرا وحربا، وكانهم لم ينعوا وفاة «عملية السلام» الا ليعلنوا ويؤكدوا انَ «الاستسلام» ما زال حياً يُرزق!

* كاتب ومحلل سياسي فلسطيني ـ الاردن

الاجندة العربية... ذلك المفقود

عبد العزيز محمد الخاطر*

■ عندما كان للعرب اجندة خاصة بهم كأمة لها مصالحها وثوابتها وكرامتها امكن التغلب على الكثير من الصعاب والكوارث ووقفت الامة رغم جميع النكبات ثابته واستطاعت ان تغير من الواقع مهما كانت درجة مأساويته الى طريق جديد للامل جعلت من نكسة 67 طريقاً لحرب الاستنزاف العظيمة ومن ثم حرب اكتوبر المجيدة لما كان للعرب اجندة لم تقف الطائفية او القبلية او المذهبية رادعاً ومفرقاً للجماعات ومصدراً لقتل الاخ لاخيه والابن لابيه.

ولكن حين سقطت الاجندة العربية سقط العرب واصبحوا مثل قطيع الاغنام كل في طريقه سائر الى مجهول ينتظره ويترقب مصيره والاجندة ببساطه هي توليفه من الوسائل تحفظ للامة كرامتها في حاضرها وقدرتها على مواجهة مستقبلها ضمن ظروف الواقع ومتغيراته، تحفظ كرامتها برفضها للظلم الواقع عليها وتحدي هذا الواقع من خلال الارادة الصلبة ومواجهة المستقبل باخذ متطلباته المادية والسياسية والمعنوية.

لكل امة اجندة خاصة بها فكوريا مثلاً تحمل اجندة واضحة من خلال دخولها العصر النووي والتكنولوجي الصاروخي والهند والصين واوروبا جميع هذه التكتلات تحمل اجندات واضحة عسكرية واقتصادية وايران اليوم تحمل اجندة واضحة تجتمع عليها الامة من خلال محاولة دخولها ميدان القوة النووية. فمأساة الامة التي لا تحمل اجندة واضحة بها كأمة تتمثل في ضعفها في مقاومة عملية الاستقطاب فما تلبث حتى تتحول الى فرق وشيع يحمل كل منها اجندة مختلفة.

ما نشاهده اليوم دليل على ذلك بلا شك، يتهم البعض حزب الله بانه يعمل لصالح اجندة خارجية وفي حين لم تكن لاي دولة عربية او تيار عروبي في السابق اجندة خاصة بها او به دون غيره. ان الغشاء الضام لاي اجندة يحتمل عنصرين هامين لا ثالث لهما هما القومية والدين بشموليتهما وقد نصل الى مرحلة متقدمة في حال ايجاد اجندة انسانية ضمن الدولة الواحدة في حال قيام الدولة الديمقراطية. ما نشهده اليوم انتحار ذاتي للأمة حيث تخلى بعضها عن بعضها تحت دعوى ان هناك اجندة او اجندات لقوى خارجة عن الامة ولم نتساءل لحظة لماذا لا تكون لنا اجندتنا الخاصة كأمة ومن المسؤول عن ذلك حتى نلوم غيرنا ممن وعى حركة التاريخ والمستقبل ونجح في تصدير اجندته الى الغير. لماذا تحمل الانظمة العربية اجندة مختلفة عن طموحات وتصورات وآمال شعوبها؟ اليس هذا هو اُس الداء العضال. انا على يقين اننا نقترب من مصير الثور الابيض الذى اختلفت اجندته عن اجندة قرينه الثور الاسود فضحى به واجندته املأفي النجاة ولم يوقن ان المصير المشترك لهما وما يجمعهما من خصال وصفات ووحدة هو ما تقوم عليه ايه اجندة بل ومصيرها مرتبط ابداً ودائماً به، فمن جعل خلاصه الفردي ثمناً في التفريط او سبباً في اعاقة قيام اجندة خاصة بالامة لا بالافراد او الانظمة فقط كمن يحفر قبره بيديه من حيث لا يدرى فالعصر لا يتحمل الاقزام ولا الاجندات الخاصة وان بدا الامر مختلفا لدى البعض.

* كاتب من قطر
azizthought@hotmail.com

حماس وادارة الازمات

عادل زعرب*

■ لا شك في ان حركة حماس واجهت اصعب الظروف بعيد انتخابها من الشعب الفلسطيني وحصولها على الاغلبية في مقاعد البرلمان الفلسطيني وتشكيلها الحكومة الفلسطينية، ولا يشك عاقل ان هذه الظروف مجتمعة من الممكن ان تقسم ظهر اي حركة وتقتل اي شعب، ولكن هنا نجد ان حركة حماس استطاعت ان تدير الازمة، واستطاعت ان تتماشى مع الكثير من الافخاخ المنصوبة لتفلت منها وتعود من جديد اكثر انسجاما مع الواقع.

ونجد هنا ان حركة حماس تخالف نظرية «موقع السلطة» وهي نظرية عالم الاجتماع الالماني المعروف ماكس فير، والتي تقول انه يجب ان يكون لدى الجهة الحاكمة نمط من الالتزامات حددها في «اخلاق المسؤولية» (في مقابل اخلاق القناعة الفردية)، بمعنى ان تحددها موازين القوى وطبيعة ونوعية ادوات الصراع، الا ان ايديولوجيا حماس قابلة للتلون والتوظيف في مكانها وموعدها الصحيح.

ومن الدلائل على ذلك ادارتها للازمات بهامش من الحرية ونجاحها الباهر في انهاء ملف الاستفتاء دون رجعة، بالرغم من المخاطر الكبيرة التي كان سيتسبب بها في حال اجرائه او تنفيذه، وهذا يحسب لحماس لا عليها.

كما اعتقد ان الجميع اشاد بمواقفها في الحوار الفلسطيني وانجاحه، برغم العراقيل فهي استحقت بكل جدارة ان تدير الازمة بكل استحقاق ومسؤولية.

كما انها تعرضت لعواصف كثيرة استطاعت كذلك ان تفلت منها مثل الحرب الاهلية التي كانت تهدد المجتمع الفلسطيني، واستطاعت بحنكتها وحكمة قادتها ان تضبط نفسها، وان تفوت الفرصة على اصحاب العقول المتحجرة والمصالح الفئوية الضيقة والشخصية.

اذن المعادلة كانت واضحة: عقلانية حماس في ادارة الازمة جنبت الشارع الفلسطيني المخاطر التي كانت تحدق به، ولعل الكثير راهن على هذه الحركة وحكومتها الوليدة، بانها لن تصمد امام العواصف.

وتساءل الكثيرون يومها عن نهج حركة حماس المرتقب بعد فوزها في الانتخابات التشريعية الاخيرة، ولعل الذين كالوا لها الاتهامات بالتخلي عن المقاومة ادركوا في هذا الوقت بالذات، وبعد عملية الوهم المتبدد ان حماس وكتائبها المظفرة اكثر وعيا وادراكا لحقيقة الامور، وانها لا زالت تتمسك بالثوابت المعروفة في خط المقاومة الاسلامية الفلسطينية.

كل ذلك كرس جملة من القطائع والتحولات النوعية في التعاطي مع موضوع الصراع الفلسطيني ـ الاسرائيلي الذي هو الملف الجوهري في اجندة هذه الحركة التي استطاعت ان تخاطب كل اصقاع العالم بمفاهيمهم الخاصة.

ومع ان حماس قبلت قواعد الديمقراطية الا انها لم تنس يوما ثوابتها، فلم يكن انخراطها الطوعي في هذا المسار الانتخابي، وتسلم مقاليد الحكومة يوما سيفا مسلطا على رقبتها، ولم تلتزم بجملة الشروط والضو